وحتى وقوع قصف بيروت، كان هنالك، كما يبدو، تسليم هادىء، من جانب الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية، بالعمليات الاسرائيلية ضد المقاومة في جنوب لبنان، طالما ان هذه العمليات كانت تنفذ ضمن حجم معين. الا ان قصف بيروت الذي ادى الى مقتل واصابة المئات من المدنيين، شكل اساساً لنقطة التحول في الموقف الاميركي، من وضع المتفرج الهادىء الى المهتم الضاغط. وعاد الحديث في اسرائيل حول «مدى تأثر» المخططات الاستراتيجية الاميركية، في الشرق الاوسط، بنشاط اسرائيل ضد المقاومة في جنوب لبنان، وبحجمه وبالاسلوب الذي نفذ به، وهذا الحديث هو نفسه الذي تكرر، خلال الاشهر الاخيرة، بعد ازمة الصواريخ وقصف المفاعل العراقي. وفحوى هذا الحديث ان اولويات السياسة الاسرائيلية في المنطقة، لا تتلاءم واولويات سياسة واشنطن. وكما فسر ذلك سفير اسرائيل السابق في الولايات المتحدة سمحه دينيتس، «فقد حدثت سلسلة من التطوارات، استُوعبت في الولايات المتحدة، وكأن اسرائيل لا تأخذ في اعتباراتها حقيقة وجود مصالح اميركية في الشرق الاوسط، ولا تدرك ان الصداقة والتحالف هما طريق ذو اتجاهين»(١٣). ويبدو ان الادارة الاميركية استغلت، هذه المرة، عاصفة الاحتجاج ضد اسرائيل لدى الرأي العام الاميركي، وحتى في الكونغرس بعد قصف بيروت، لتفرض، على اسرائيل، موقفها الداعي الى وقف اطلاق النار فوراً (كما جاء في رسالة وزير الخارجية الاميركي هيغ الى بيغن قبيل وقف اطلاق النار) ولتتخذ عقوبات مؤقتة بحق اسرائيل تمثلت في تجميد ارسال طائرات الـ ــ ف ــ ١٦، للمرة الثانية خلال اقل من شهرين، بعدما جمدتها في المرة الاولى اثر قصف المفاعل النووي العراقي، في حزيران (يونيو) الماضي.

وهذه المرة، كان الاستياء متبادلاً بين اسرائيل والولايات المتحدة؛ حيث فوجىء الاسرائيليون بالنقد والاحتجاج العارم ضدهم «بعد استخدام سلاح الجو بشكل كثيف، ضد اهداف في لبنان، وعلى الأغلب اهداف مدنية، الأمر الذي وصل إلى ذروته في قصف بيروت». وكما اعلن اسحق رابين، رئيس الحكومة السابق، إن هذا العمل قد أثّر في علاقة الادارة الأميركية باسرائيل، وأظهر اسرائيل على حقيقتها امام الرأي العام الاميركي وفي الكونغرس؛ «الامر الذي وفر لإدارة ريغان حرية عمل كبيرة ضد اسرائيل»(١٤). وكما يصف ذلك احد الكتّاب الاسرائيليين، المقربين من اجهزة الحكم. «فإن احداً من اصدقاء اسرائيل، في الكونغرس، لم ينبرِ للدفاع عنها، وحتى الزعماء اليهود بدأوا يتحفظون علناً، حيث اعلن رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية هوارد سكفادرون: ان هنالك غلياناً بين الاوساط الليبرالية بين اليهود، يشل قدرته على توضيح اي شيء في ظل ما جرى»(١٥). فالهجمة على اسرائيل، من جانب الرأي العام الاميركي، بعد قصف بيروت، ذكرت الاسرائيليين بتحرك الشعب الاميركي، ضد حكومته، بعد استخدام القوة الجوية الاميركية كوسيلة للقضاء على «الفيتكونغ» وفيتنام الشمالية. «فمرة اخرى تظهر الصور المفجعة ذاتها، والتبريرات والتوضيحات العسكرية التي جرى تفنيدها بشكل مهين... وبدأ الاميركيون يشعرون بالاشمئزاز تجاه اسرائيل، وكأنما حربها، ضد لبنان، هي استمرار لحرب فيتنام. لقد شاهدوا انفسهم مرة اخرى على الشاشة: طائراتهم وقذائفهم والنساء والاطفال المشوهين والضائعين، فثاروا مستنكرين»(١٦).